١ ـ فلا يجوز أن يكونَ موجد العالم مستحيلاً.

لأن المستحيل لا يُتَصَوَّرُ وجوده مطلقاً، فهو عدم محض، فلا يمكن أن يوجد غيره، إذ أن (فاقد الشيء لا يعطيه)، فكيف يكون المستحيل مصدراً للوجود؟

٢ ـ كما لا يجوز أن يكون موجد العالم ممكناً:

لأن الممكن لا يوجد إلا إذا وجد سبب وجوده، وهذا السبب إن كان ممكناً فعندئذ يحتاج إلى سبب آخر... إلخ وهكذا. وهذا يلزم منه الدور أو التسلسل، كلاهما باطل ـ كما سيأتي بيانه بعد قليل ـ، فما أدى إليهما فهو باطل. فلزم إلاّ يكون موجد الكون ممكناً.

٣ ـ ولما ثبت أن موجد العالم ليس بمستحيل ولا بممكن، وجب أن يكون موجد العالم واجب الوجود[١]، فلا يحتاج وجوده إلى سبب، بل هو علة العلل وسبب وجود العالم[٢].

معنى الدَّوْر ودليل بطلانه:

الدَّوْر: هو أن يكون شيئان كلٌّ منهما علة للآخر[٣].

= ينقسم إلى ثلاثة أقسام: (١) واجب (٢) مستحيل (٣) ممكن (جائز).

١ ـ **الواجب**: وهو الثابت الذي لا يقبل الانتفاء، أو هو ما لا يتصور في العقل عدمه.

كوجوب القدرة لله تعالى، وكوجوب الزوجية للعدد (٤).

٢ ـ **المستحيل**: هو المنفي الذي لا يقبل الثبوت، فلا يمكن وجوده، ولا يتصور حدوثه مطلقاً، أو هو ما لا يتصور في العقل وجوده.

كأثبات شريك لله، وكتقدم الابن على أبيه في الوجود.

٣ ـ **الممكن «الجائز»**: هو الذي يقبل الثبوت تارة والنفي تارة أخرى على التعاقب، أي: يمكن وجوده إذا وجد السبب الذي يرجح وجوده، وهو ما يصح في العقل وجوده وعدمه على السواء، ولا يوجد إلا بمرجح.

كوجود الجنة الآن، وكوجودك الآن في هذه الغرفة، الباجوري على السُّنوسية ص١٠ ـ ١٤ والمعتقد المنتقد ص١٣ ـ ١٥.

(١) معنى واجب الوجود: هو أنه لا يجوز عليه العدم، فلا يقبل العدم أزلاً وأبداً. انظر: شرح الخريدة للدردير ص٥٥ والباجوري في شرح الجواهر ج١ ص٤٧.

(٢) انظر: المواقف وشرحه للسيد الشريف ص٤٦٦ وحاشية الدُّوَّاني والكَلْنْبَوي عليه ج١ ص٢٢٧ والرازي مفسراً ص٢٨٢ والباجوري على الجوهرة ج١ ص٤٧ ـ ٤٨.

(٣) المواقف ص١٧٧.

كقولك: زيد أوجد عَمْراً، وعَمْروٌ أوجدَ زيداً.

فكل من زيد وعمرو، يتوقف وجود أحدهما على الآخر. وهو الدور الباطل[1]، وكل منهما يظل معدوماً حتى يأتي مؤثر خارجي.

وسبب بطلان الدور:

هو أن يستلزم أن يكونَ كل واحد منهما، سابقاً صاحبه، متأخراً عنه، في وقت واحد. وهذا يعني استلزام تقدم الشيء على نفسه، وهو تناقض[2].

فعمرو يتوقف على زيد، وزيد يتوقف على عَمْرو. وهذا يعني أن عَمْراً متوقف على عَمْرو، بعد حذف الحد الأوسط (زيد).

وهذا يستلزم تقدم الشيء على نفسه، أي: يلزم أن يتقدم عمرو على عمرو، لأنه خالق ومخلوق أو سابق ومسبوق، فيلزم أن يكون عمرو موجوداً قبل أن يوجد، وهذا باطل.

ومثال بطلان الدور:

وجود البيض متوقف على وجود الدجاج، ووجود الدجاج متوقف على وجود البيض. فلو فرضنا أن لا وسيلة إلى وجود هذا ولا ذاك إلا عن هذا الطريق فإن من البدهي أن كلاً من الأمرين يظلان معدومَين، حتى يأتي مؤثر خارجي، يوجد البيض ويوجد الدجاج، فينتهي الدور عندئذ.

فإذا قيل:

إنّ سببَ حدوثِ العالم هو: التفاعل الذاتي المجرد في الموجودات، بتأثير الضغط والحرارة والبرودة بمرور الزمان.

أجيب:

أن هذا هو الدور الباطل، لأنه يعني: أنّ وجود العالم متوقف على بعضه

---

(١) الدور باطل سواء كان:
من مرتبة واحدة: «ويسمى الدور المصرّح» كما يتوقف أ على ب وبالعكس.
أو من مراتب متعددة: «ويسمى الدور المضمَر» كما يتوقف أ على ب وب على جـ وجـ على أ.
انظر: التعريفات للسيد الشريف الجُرْجَاني طبعة مصر سنة ١٩٣٨ ص٩٤ كلمة (الدور). وبهذا المعنى مقاصد الطالبين وشرحه لسعد الدين التفتازاني طبعة إستانبول سنة ١٣٠٥هـ ج١ ص١٦٤.

(٢) المواقف ص١٧٧ والمقاصد ج١ ص١٦٤ والدُّرَيِر على الخُريدة ص٦١ والباجوري على الجوهرة ج١ ص٤٨ والوسيلة في شرح الفضيلة للشيخ عبدالكريم بيارة ـ طبعة بغداد سنة ١٩٧٢ ص٤٦١.

(الضغط والحرارة والبرودة. .)، وبعضه متوقف في وجوده على العالم، وهذا يعني: تقدم الشيء على نفسه، وهو باطل كما تقدم[1].

معنى التسلسل ودليل بطلانه:

التسلسل: هو أن يستند الممكن في وجوده إلى علة مؤثرة فيه، وتستند تلك العلة المؤثرة إلى علة أخرى مؤثرة فيها، وهلم جرا إلى ما لا نهاية[2].

فالتسلسل يعني: أنّ المخلوقات متوالدة عن بعضها، إلى ما لا نهاية، بحيث يكون كل واحد منها معلولاً لما قبله، وعلةً لما بعده، دون أن تنبع هذه السلسلة من علة واجبة الوجود[3].

دليل بطلان التسلسل:

١ ـ أنه يؤدي إلى وجود آلهة لا نهاية لها، كلٌّ منها متصف بالحدوث والافتقار والعجز، وهو باطل، لأنه منافٍ لمقام الألوهية من القدرة والغنى المطلق، إذ العاجز الفقير لا يَصِحُّ أن يكون خالقاً للعالَم البديع الإتقان[4].

٢ ـ التسلسل منقوض بالحس والمشاهدة، ذلك لأن هناك مخلوقات انقرضت. فلو صحّ أنّ الموجودات تتسلسل إلى ما لا نهاية ـ بأن تكون كلُّ حلقةٍ فيها معلولاً لما قبلها، وعلةً تامةً لما بعدها ـ لما انقرضت هذه الموجودات، لأن الحلقةَ الأخيرةَ فيها معلولة فقط، وليست بعلة كسابقتها[5].

٣ ـ برهان التطبيق وهو أشهر أدلة المتكلمين وهو:

أنك لو فرضت سلسلتين، وجعلتَ إحداهما من الآن إلى ما لا نهاية.

والأخرى من الطوفان إلى ما لا نهاية.

وطبقت بينهما بأن قابلتَ بين أفرادهما من أوّلهما.

فكلما طرحتَ من الآنيّة (نسبة إلى الآن، أي: الوقت الحاضر) حلقة واحدة،

---

(١) كبرى اليقينيات الكونية ص٨٩ ـ ٩٠.

(٢) المواقف ص١٧٩.

(٣) كبرى اليقينيات الكونية ص٨٤.

(٤) الدردير على الخريدة ص٦١.

(٥) كبرى اليقينيات الكونية ص٨٤ وما بعدها. وانظر: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين للأستاذ الشيخ مصطفى صبري ج٢ ص١٨٢.